القضاء العادل في الاسلام

(تابع)

ومما جمع بين الوعد والوعيد قوله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار وصف هذا الحديث عاقبة من يقضي بالحق على بينة منه وهي المصير الى الجنة وءاذن بعاقبة من يقضي على جهل وجور وهي المصير الى النار ولايتناول هذا الوعيد العالم باصول الشريعة يجتهد رأيه فلا يصيب الحق ويقضي بما رأى قرأ الحسن البصري قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا ءاتينا حكما وعلماً وقال لولا ما ذكر الله من امر هذين لرأيت ان القضاة هلكوا فانه اثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده.

وصف الاسلام ما في العدل من فوز واعلن بما في الحيف من شقاء وكان قضاؤه صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى لصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم ويكفي شاهداً على هذا انه صلى الله عليه وسلم اراد اقامة الحد على امرأة مخزومية سرقت فخاطب قريش اسامة ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسقاط الحد عنها فقال صلوات الله عليه اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب قال ايها الناس انما اضل من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها.

رسم صلى الله عليه وسلم طريق العدل في القضاء قيمة غير ذات عوج وزادها بسيرته العملية وضوحا واستنارة فاستبانت لاصحابه في اجلى مظهر فاقتدوا بهديها الحكيم واروا الناس القضاء الذي يزن بالقسطاس المستقيم انظر الى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته الى ابي موسى الاشعري ءامن بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لايطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

كان للاسلام وسيرة الذين اوتوا العلم من رجاله اثر في اصلاح القضاء كبير ولا تشرق المحاكم بنور العدل الا ان يمسك زمامها رشيد العقل راسخ الايمان بيوم الفصل.

فتقوى الله تحمل القاضي على تحقيق النظر في كل واقعة حتى يتعرف الحق ولا ياخذ باول ما يلوح له من الفهم وان يتيقن ان قضاءه نافذ وماله في الرؤساء من معقب ومن امراء الاندلس من كان يعزل القاضي متى رأى منه السرعة في فصل القضايا التي تستدعي بطبيعتها شيئاً من التروي اذ يفهم من هذه السرعة عدم تحرجه من اثم الخطا في الحكم.

وتقوى الله هي التي تقف بالقاضي في حدود العدل لا يخرج عنها قيد انملة في حال قيل للقاضي اسماعيل بن اسحاق المالكي الا تؤلف كتابا في ادب القضاء فقال اعدل ومد رجليك في مجلس القضاء وهل للقاضي ادب غير الاسلام وفي سيرة ابي عبد الله محمد بن عيسى احد قضاة قرطبة انه التزم الصرامة في تنفيذ الحقوق والحزامة في اقامة الحدود والكشف عن البيان في السر والصدع بالحق في الجهر ولم يهب ذا حرمة ولا داهن ذا مرتبة ولا اغضى لاحد من ارباب السلطان واهله حتى تحاموا حدة جانبه فلم يجسر احد منهم عليه ونقرأ في وصف ابراهيم بن ابي بكر الاجنادي احد قضاة مصر انه كان لايقبل رسالة ولا شفاعة بل يصدع بالحق ولا يولي الا مستحقاً.

وامتحن عبد الله بن طالب احد قضاة القيروان فكان يقول في سجوده وهو في السجن اللهم انك تعلم انى ما حكمت بجور ولا ءاثرت عليك احدا من خلقك ولا خفت فيك لومة لائم ووصف المؤرخون محمد بن عبد الله بن يحيى احد قضاة قرطبة بانه لم يداهن ذا قدرة ولا اغضى لاحد من اصحاب السلطان ولم يطمع شريف في حيفه ولم ييأس وضيع من عدله ولم يكن الضعفاء قط اقوى قلوبا ولا السنة منهم في ايامه. (يتبع)

محمد بن يحيى الصقلي